

مجمع الأمثال

2543 - العَوْدُ أَحْمَدُ .

يجوز أن يكون " أحمد " أفعل من الحامد يعني أنه إذا ابتداء العُرْفَ جَلَبَ [ص 35] الحمد إلى نفسه فإذا عاد كان أحمد له أي أكسب للحمد له ويجوز أن يكون أَفْعَلَ من المفعول يعني أن الابتداء محمود والعود أحق بأن يحمد منه .
وأول من قال ذلك خِدَاش بن حابس التميمي وكان خطب فتاة من بني ذهل ثم مَنَ مِنْ بَنِي سَدُوسٍ يُقَالُ لَهَا الرَّبَابُ وهام بها زماناً ثم أقبل يخطبها وكان أبواها يتمنّان لجمالها وميسمها فردّا خدasha فأضرب عنها زماناً ثم أقبل ذات ليلة راكباً فانتهى إلى محلّتهم وهو يتغنّى ويقول :

أَلَا لَيْتَ شَعْرِي يَا رَبَّابُ مَتَى أَرَى ... لَنَا مِنْكَ زُجْجاً أَوْ شِفَاءً فَأَشْتَفِي .
فقد طالما عَنَيْتَنِي وَرَدَدْتَنِي ... وَأَنْتَ صَفِيٍّ دُونَ مَنْ كُنْتُ أَصْطَفِي .
لَحَى مَنْ تَسْمُو إِلَى الْمَالِ نَفْسُهُ ... إِذَا كَانَ ذَا فَضْلٍ بِهِ لَيْسَ يَكْتَفِي .
فَيُنْذِرُكَ ذَا مَالٍ دَمِيمًا مُلَوًّا ... وَيَتْرُكُ حُرّاً مِثْلَهُ لَيْسَ يَصْطَفِي .

فعرفت الرباب منطقته وجعلت تتسمّع إليه وحفظت الشعر وأرسلت إلى الركب الذين فيهم خِدَاش أن انزلوا بنا الليلة فنزلوا وبعثت إلى خِدَاش أن قد عرفت حاجتك فاغدُ على أبي خاطباً ورجعت إلى أُمِّهَا فَقَالَتْ : يَا أُمَّةَ هَلْ أَنْكَحُ إِلَّا مَنْ أَهْوَى وَ أَلْتَحِفُ إِلَّا مَنْ أَرْضَى ؟ قَالَتْ : لَا فَمَا ذَاكَ ؟ قَالَتْ : فَأَنْكِحْنِي خِدَاشاً قَالَتْ : وَمَا يَدْعُوكَ إِلَى ذَلِكَ مَعَ قَلَّةِ مَالِهِ ؟ قَالَتْ : إِذَا جَمَعَ الْمَالَ السَّيِّئُ الْفَعَالِ فَقَبِحاً لِلْمَالِ فَأَخْبَرَتِ الْأُمَّ أَبَاهَا بِذَلِكَ فَقَالَتْ : أَلَمْ نَكُنْ صَرَفْنَاهُ عَنَّا فَمَا بَدَا لَهُ ؟ فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَا عَلَيْهِمْ خِدَاشُ فَسَلَّمَ وَقَالَ : الْعَوْدُ أَحْمَدُ وَالْمَرْءُ يَرشُدُ وَالْوَرْدُ يَحْمَدُ فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا . وَيَقَالُ : أَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ وَأَخَذَ النَّاسُ مِنْهُ مَالُكَ بْنُ زُوَيْرَةَ حِينَ قَالَ :

جَزَيْتَنَا بَنِي شَيْبَانَ أَمْسَ بِقَرَضِهِمْ ... وَعُدْنَا بِمِثْلِ الْبَدْعِ وَالْعَوْدُ أَحْمَدُ .

فَقَالَ النَّاسُ : الْعَوْدُ أَحْمَدُ